مجلة فصل الخطاب Journal of Fasloel-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 15، عدد رقم:03، سبتمبر 2026، صص: 99 - 112

تاريخ الاستلام(2025/11/20) تاريخ القبول (2026/09/15) تاريخ النشر (2026/09/30)

تجليات الإقناع في الرسائل الإخوانية
"رسالة أم خالد بن يحي البرمكي إلى هارون الرشيد أنموذجا"

The Persuasion Manifestations in Fraternal Letters: Umm Khalid ibn Yahya al-Barmaki's Letter to Harun al-Rashid as a Case Study

بلكحل العالية
مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر
جامعة ابن خلدون تيارت (الجزائر)، lalia.belakhal@univ-tiaret.dz

ملخص:

تكمن أهمية هذا البحث من أهمية الموضوع الذي يحاول الخوض فيه، وهو الإقناع في الرسائل الإخوانية التي حلت محل الخطابة في العصر العباسي لما عرفت انتشارا واسعا بين الأدباء وحتى الولاة في تيسير أمور الناس من الجانب السياسي والإداري "الرسائل الديوانية" والجانب الاجتماعي الفني "الرسائل الإخوانية" حيث يطرح الإشكال التالي: هل ساهمت الرسائل الإخوانية في تغيير القرارات السياسية في العصر العباسي؟ من خلال هذا السؤال نحاول معرفة مدى بث العواطف في تغيير الحكم السياسي في العصر العباسي من خلال أشهر الفنون الأدبية الرائجة حينها. حيث نستخلص أن الرسائل الاخوانية ساهمت في تغيير كثير من القرارات السياسية لما تحمله من شحنات وأساليب حجاجية إقناعية، ومنها أسلوب الاستعطاف الذي ذاع في هذا العصر للتخفيف من وطأة الحكم.

كلمات مفتاحية: الإقناع؛ الإمتاع؛ الخيال؛ الرسالة؛ الحجاج؛ الاستعطاف

Summary:

The significance of this study lies in the importance of the topic it seeks to investigate, namely persuasion in epistolary writings between friends and

المؤلف المرسل: بالكحل العالية الإيميل: lalia.belakhal@univ-tiaret.dz

acquaintances (al-rasā'il al-ikhwāniyya). These writings came to occupy a place formerly held by oratory during the Abbasid period, as they became widely circulated among writers and even governors, serving to facilitate people's affairs in both the political and administrative spheres, particularly through official administrative correspondence (al-rasā'il al-dīwāniyya), and in the social and artistic sphere through personal and fraternal epistle (al-rasā'il al-ikhwāniyya). The study raises the following question: Did fraternal correspondence contribute to changing political decisions during the Abbasid period? Through this question, we seek to examine the extent to which the evocation of emotions contributed to influencing political decisions during the Abbasid period through one of the most prominent literary genres of the time. The study concludes that fraternal correspondence contributed to influencing and changing numerous political decisions, owing to the persuasive and argumentative techniques it employed, including the strategy of emotional appeal, which became widespread during this period as a means of mitigating the severity of political judgments.
Keywords: Persuasion; Aesthetic enjoyment; Imagination; Epistle; Argumentation; Emotional appeal

1. مقدمة:

عرفت الرسائل الإخوانية في العصر العباسي حضورا بارزا وقويا، حيث تعد شكلا مهما من أشكال التواصل الاجتماعي الأدبي بين الأهل والخلان والأحباب، وانتشرت بين الأدباء فقد تعددت موضوعاتها باختلاف الغرض (الشكوى، التهنئة، الاعتذار، الشوق....)

حيث تعكس مدى أهميتها في التواصل بين الأدباء، إذ تمتلك خزانا من المشاعر الجياشة المتبادلة بين طرفي التواصل "المرسل والمرسل إليه" فقد شهدت تنافسا بين الكتاب والأدباء في هذا الفن من خلال توظيفهم للأساليب الفنية من صور بلاغية ومحسنات بديعية وألفاظ جزلة قوية توائم موضوع الرسالة، فقد جمعت بين وجدان الكاتب وبراعته الأدبية.

كما أنها تهدف إلى إقناع واستمالة المتلقي من خلال حشد المرسل مجموع الأساليب البلاغية والحجج التي يروم من خلالها التأثير فيه وتغيير سلوكه وفقا لمتطلباته. فقد كانت الرسائل وسيلة للتعبير عن المشاعر والعواطف، كما كانت وسيلة يبتغيها المرسل لطلب منصب أو امتياز، كما تستخدم كذلك لتغيير قرارات مهمة.

فقد لجأ إليها الكتاب لتبليغ الشكر أو الشكوى أو الاعتذار بين العامة والطبقة الحاكمة.ومنها رسائل الاستعطاف التي كانت تبعث قصد تغيير حكم الخليفة. ومن هنا برزت

الإشكالية التالية: كيف أسهمت الروابط الاجتماعية في صياغة الحجة الإقناعية في رسائل الاستعطاف الإخوانية؟

وما مدى فاعلية استراتيجيات التذلل وتمجيد السلطة في تغيير موقف المرسَل إليه أو استمالة عطفه؟

وكيف تجلى هذا من خلال رسالة أم يحي البرمكي إلى هارون الرشيد؟

للإجابة على هذا الإشكال جاءت خطة البحث كالتالي:

1_استراتيجية الإقناع في النص؛ الذي تناولنا فيه مفهوم الإقناع وأساليبه في النص.

2_ تجليات الإقناع في الرسائل الإخوانية؛ حيث تطرقنا فيه إلى مفهوم الرسائل الإخوانية، لننتقل إلى تجليات الإقناع في الرسائل من خلال رسالة أم يحي خالد البرمكي إلى هارون الرشيد أنموذجا. واختيار هذا النموذج كان للدور الكبير للرسائل الأدبية في تغيير قرارات سياسية هامة.

2. استراتيجية الإقناع في النص:

تقدم نظرية الحجاج (*) منهجا جديدا في طرق التعامل مع المتلقي، حيث يحمله على الاقتناع بفحوى القول والرضا به دون إكراه، لأنّ المرسل يتعامل مع الخطاب باعتباره قاعدة ذات أوجه دلالية متعددة بتعدد أحوال المتلقين ونوازعهم وميولاتهم.

فإن إقناع المتلقي وحمله على الاقتناع لا يكون بالإلزام أو الحقائق الثابتة حتى لا يشعر أنه مجبر لتلقي الحقيقة التي أوردها المرسل، بل يكون بترك حرية للمتلقي في الاختيار.

فالغاية من النص أو الخطاب هو تحقيق التأثير المرجو في المتلقي حتى يتبنى الدعوة أو القول الذي يدعو إليه المرسل، هنا تكمن غاية المرسل وتكتمل مهمته في إقناع المتلقي حتى يتبنى هو دعواه ويعمل بها.

ولذا فالنص لابد أن تكون له خصائص تميزه عن غيره من النصوص التي تروم الإمتاع فقط، لأن النص حسب ديكرو "سلطة" فهو " يسد المنافذ على أي حجاج مضاد

فيحرص على توجيه المتلقي إلى وجهة واحدة دون سواها، وبذلك تنتهي إلى ميزتين أساسيتين هما: التأكيد على الوظيفة الحجاجية للبنى اللغوية وإبراز سمة الخطاب التوجيهية"[1]، فيحمل النص الحجاجي وجهة نظر محددة تحد المتلقي دون الانزياح عن الإطار الذي حدده المرسل، وهذه الخصائص تتمثل في:[2]

-القصد المعلن: أو الوظيفة الإيحائية للكلام.

-التناغم: تسلسل دقيق للأفكار.

-الاستدلال: السياق العقلي للنص.

-البرهنة: الأمثلة والحجج وكل تقنيات الإقناع.

فعلى المرسل أن يعلن عن قصده متبعا أساليب إيحائية مستعينا ببعض الصور والمجاز، كما هو مطالب بإيراد حجج وبراهين ضمن السياق حتى لا يحيد المتلقي عن المعنى المرجو أو الهدف المنشود.

وهنا هو يزاوج بين الأساليب المنطقية التي تتمثل في الحجج والبراهين والأساليب البلاغية التي تتعلق بالإيحاء والصور والتلاعب بالألفاظ، لأن مزج الأساليب البلاغية التي تقوم على الخيال والعاطفة ينفي عن القول صبغة الإكراه والتسلط، وتلقي للمتلقي شعورا بالحرية في قراءته وتلقيه للعمل. "الإقناع سلطة عند المرسل في خطابه ولكنها سلطة مقبولة إذ استطاعت أن تقنع المرسل إليه، إذ لا تحقق استراتيجية الإقناع نجاحها إلا عند التسليم بمقتضاها إما قولا أو فعلا، وما يجعل الإقناع سلطة مقبولة هو كون الحجاج هو الأداة العامة من بين ما يتوسل به المرسل من أدوات أو آليات لغوية"[3].

فيكون الإقناع مبنيا على ثقة بين المرسل والمتلقي. ولهذا الأسلوب مصوغات تتمثل في[4]:

-إن تأثيرها التداولي في المرسل إليه أقوى.

-الإقناع تحقيق الرضا الداخلي والاقتناع الذاتي دون إكراه.

-الأخذ بتنامي الخطاب بين طرفيه عن طريق استعمال الحجاج حيث تزدوج أساليب الإقناع بأساليب الإمتاع لتكون أقدر على التأثير.

-الرغبة في تحصيل الإقناع، إذ يغدو هو الهدف الأعلى.

-إبداع السلطة، فالإقناع سلطة عند المرسل في خطابه.

-شمولية استراتيجية الإقناع، إذ تمارس على جميع الأصعدة.

-ما تحققه من نتائج تربوية.

-استباق عدم تسليم المرسل إليه بنتائج المرسل أو دعواه.

-خشية سوء تأويل الخطاب.

-عدم الاتفاق حول قيمة معينة، أو التسليم من أحد طرفي الخطاب للآخر.

فالمرسل يروم إقناع المتلقي والتأثير فيه وعليه، وهذا لايتأتى إلا بحشده لأساليب تجمع بين الإمتاع الوجداني والصرامة العقلية "حيث يرتكز في علاقاته الداخلية وفي تواصله مع القارئ على منطق التعبير وتحديد الهدف والمعتمد فيه على المعنى الذي يسخر النص لإيصاله وتحقيقه، وهو رسالة ذهنية غايتها الاقناع"[5] ، فإن المرسل يدفع المتلقي نحو النص والنهل من معانيه وقيمه دون تسلط، إنما رضى نابع من لدن المتلقي وهو ناتج عن استمتاعه بالعمل وتلذذه بفنياته وتقنياته وأساليبه، لأن الاستعانة ببعض الأساليب النفسية والاعتماد على الخيال يخلق دافعا للمتلقي للولوج إلى العمل بكل شغف وروح متعطشة للمعاني.

فالإقناع وإن كان هو الغاية الرئيسة للمبدع، إلا أنه يسعى للتأثير إيجابا على المتلقي، فقد اعتمد السفسطائيون على التأثير في الجمهور بالتمويه والتلاعب بعواطفهم وعقولهم، فركزوا على الجانب الانفعالي في إثارتهم، إلى أن جاء أرسطو وأسس لفن الخطابة وجعل مدارها على العقل، حيث رأى أن "الإقناع كسائر أعمال التأثير بالقول عموما لا يوفق المتكلم دوما إلى تحقيقه لخروجه عن المواضعة وارتهانه بتهيؤ السامع خلافا للعمل بالقول الذي يوفق إلى إنجازه بمراعاة جملة من المواضعات اللغوية والاجتماعية"[6]. ولا يكون الإقناع والتأثير إلا بإيضاح القصد والغاية "لأن مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع إنما هي الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الوضع"[7]، حيث اقترن مفهوم البيان بغايته التي هي الفهم والإفهام، أي التأثير والإقناع.

وبذلك يمر المتلقي بحالتين: الأولى تكون بفهمه للنص أو العمل الأدبي واستيعابه، لينتقل للحالة العميقة وهي التأثر بفحوى النص.

ولذلك أدرك النقاد القدامى أهمية استدراج المتلقي وكسب ثقته بتهيأته لجو النص إثر تبيانه لقصده وتوضيحه تمويها لاستدراجه نحو النص حتى يقع في شباك المعاني المخبوءة فيتصارع معها حتى يتمكن المعنى منه أو هو يتمكن منها. وغالبا ماينجح المبدع لأنه أحكم شباكه ونسج خيوط نصه بعناية وذكاء بالغين.

وعليه وضع النقاد والبلاغيون أساسيات للنص الإقناعي، المتمثلة في:

أولا: البصر بالحجة؛ وتعني رصد الحجج التي يروم المرسل بها إقناع المتلقي، وعليه العناية بها وانتقاء الحجج المناسبة للموضوع والمقام الذي يرد فيه، لأنها تدل على "حسن التدبير والتقاط المناسبة بين الحجة وسياق الاحتجاج في صورتها المثلى حتى يسد المتكلم السبيل على السامع فلا يجد منفذا إلى استضعاف الحجة والخروج عن دائرة فعلها، وربما نقضها بما يخالفها أو يباينها"[8]، فمراعاة السياق والمقام وأحوال المتلقين يساهم في جودة الحجج التي يعتمد عليها المرسل في نصه وحتى لا تدحض من لدن المتلقي.

ثانيا: ترتيب الحجج؛ وتتعلق بإلقاء كل حجة حسب المقام فلا يلقيها دفعة واحدة بل بالتدرج والروية لأن ذلك يزيدها قوة ويمكن لها في ذهن المخاطب ويأتي ذلك بالبدء بالمقدمات التي تعتمد فيها على الإشارة والاستمالة والتأثير، فالخبر الذي يتوسل تقنيات كاعتماد الوقائع التاريخية، ثم وصولا إلى الخاتمة التي تبرز في النهاية حذق المتكلم في الإبلاغ والإيصال[9].

وبعد العناية بأحوال المتلقين ومقاماتهم، وترتيب الحجج وفقا لذلك تأتي الخطوة الثالثة وهي الأسلوب؛ فعلى المرسل أن يعتني بألفاظه وأسلوبه وفقا للحجج التي أوردها، وذلك بـ:[10]

_انتقاء عناصر المحاجة، ويقع هذا الاختيار على أساس نوعية الجمهور المتلقي بالاعتماد على وسيلة الحضور ويتمثل ذلك في استحضار العنصر المنتقى للمحاجة وجعله ماثلا بين أعين المخاطبين وفي أذهانهم.

_السياق القولي والأسلوب البلاغي اللذان يقدمهما فيها، منها أنواع الصفات والأمثلة والنعوت والتأكيدات.

_عدم تشتيت انتباه السامعين.

_اعتماد الأسلوب البطيء.

_الاعتماد على التكرار.

_مطابقة المقال للمقام.

هذا ما يحويه النص الحجاجي الذي يروم به المرسل بالدرجة الأولى إلى إقناع المرسل إليه والتأثير فيه، فكيف تتجلى سمات النص الحجاجي في الرسائل الإخوانية؟

2.تجليات الإقناع في الرسائل الإخوانية:

1.2الرسائل الإخوانية:

تمثل الرسائل الإخوانية النموذج المثالي الذي يجمع بين العقل والوجدان بين الإقناع والاقتناع، لأنها تخاطب عقل المتلقي وتميل به نحو العواطف والمشاعر. فقد عرفت انتشارا واسعا في العصر العباسي حيث كانت الكتابة "الجسر الذي يصل الشخص إلى أرفع المناصب، وكان من يُتقنها من الوزراء والقواد والولاة يلقى الإكبار والإعجاب"[11]، فقد اتسعت الكتابة على حساب الخطابة في توجيه الناس وقد شملت الرسائل: الرسائل الديوانية والتوقيعات والرسائل الإخوانية.

وكان اختصاص الرسائل الديوانية والتوقيعات بالحكم والسياسة وأمور الدولة من المراسلات وغيرها، أما الرسائل الإخوانية فهي التي تكون بين الأدباء والخلان وسميت برسائل الأشواق لأنها كانت بين فردين أو أكثر تخاطب الوجدان " فقد كانوا يصورون بها عواطفهم ومشاعرهم من ثناء أو هجاء أو استسماح أو استعطاف أو عتاب أو تهنئة أو تهاد"[12]، فقد كانت الرسائل الإخوانية تحظى بانتشار واسع بين الأدباء ليبدو براعتهم الأدبية وتفننهم في ألوان الكلام وتصوير المشاعر والعواطف مع تخير الألفاظ البلغية المؤثرة.

ونص الرسالة قد يخاطب متلقيا غائبا وقد تكون حوارية حوارا شفهيا، المهم أن تحضر عناصر الإرسال والاستقبال فقد كان الأديب يبعث برسالته ثم ينتظر الرد سواء في التهنئة أو الاعتذار أو الاستعطاف أو غيرها من الأغراض، أما في الحوار فينتظر المرسل جوابا فوريا لرسالته ولذلك دائما يحضر المتلقي سواء حضوريا أم متخيلا في بناء الرسالة وفي انتظار الرد المناسب "وجود المتلقي أو المرسل إليه أمر لا بد منه فكل رسالة لا بد وأن لها متلقيا وبه يصبح النص مؤثرا وذا قيمة ويحمل أبعاده الاجتماعية وتتحقق وظيفته في التواصل، وتكشف لنا الرسائل الإخوانية وما يلازمها من سياق وجود متلق متخيل"[13].

فتحمل الرسائل شحنات تداولية ويتحقق الحجاج وفقا لمنطلق المرسل وهذا ما نلمحه من خلال بعض الرسائل التي حملت طابع الاستعطاف، فالاستعطاف هو مبني على حجج من شأنها تغيير موقف المتلقي فيتودد إليه المرسل من خلال رسالته ليستعطفه ويطلب عفوه.

وقد يتغير في كثير من الأحيان موقف المستعطَف، فمثلا في العصر العباسي اشتهرت رسالة استعطاف إبراهيم بن سيابة الشاعر الذي استعطف بها يحي بن خالد البرمكي وكتب إليه رسالة اشتهرت شهرة واسعة لبلاغتها[14]:

فقد استفتح رسالته بالإعلاء من شأن المخاطب والتقليل من شأنه "للأصيد الجواد، الواري الزناد الماجد الأجداد، الوزير الفاضل، الأشم الباذل، اللباب الحُلاحل، من المستكين المستجير البائس الضرير" حيث وصف البرمكي بصفات تعلي من همته من الهيبة والكرم والمروءة بالمقابل نعت نفسه بالمسكين الضعيف.

ثم بدأ في عرض طلبه عن طريق تقديم مجموع حكم "اعلم أنه من يرحم يُرحم، ومن يحرم يُحرم، ومن يُحسن يَغنم، ومن يصنع المعروف لا يعدم" حيث تميزت بالسجع والجناس والإيجاز البليغ.ثم طرح قضيته "وقد سبق إلي تغضبك علي واطراحك لي وغفلتك عني بما لا أقوم له ولا ولا أنتبه ولا أرقد، فلست بحيّ صحيح ولا بميت مستريح، فررت بعد الله منك إليك، وتحمّلت بك عليك" فقد وصف مآل له حاله من ضياع وشتات عله يرأف لحاله ويعفو عنه، ولم يكتف بوصف حاله البئيس بل أعقبه بأبيات شعرية تلامس الفؤاد:

أسرعت بي حثّا إليك خِطائي فأناخت بمذنب ذي رجــاء
راغب راهب إليـــــــك يُرجّى منك عفوا عنه وفضل عطاء
ولعمري ما من أصرّ ومن تا بـ مُقرا بذنبــــــــه بســواء

وبعد أن سرد حججا عقلية وأبياتا تلامس عاطفته ختم رسالته "فإن رأيت _أراك الله ما تحب_ ألا تزهد فيما ترى من تضرّعي وتخشعي وتذللي وتضعفي، فإن ذلك ليس مني بنحيزة ولا طبيعة، ولا على وجه تصيّد وتصنع وتخدّع، ولكنه تذلل وتخشع وتضرع من غير ضارع، ولا مهين ولا خاشع لمن لا يستحق ذلك إلا لمن التضرع له عز ورفعة وشرف" فقد بين للبرمكي أنه تذلل وتضعف له ليس بطبيعة فيه بل لعلو شأن البرمكي مما يزيد في غرور البرمكي وتعظيم شأنه من طرف المرسل حتى يوهمه أنه تحت رحمته وطوع أمره. وما إن فرغ

البرمكي من الرسالة حتى عفا عنه. نلاحظ أن هذه الرسالة تحوي جملا مسجوعة قصيرة لكنها ذات تأثير قوي في المخاطب بالإضافة إلى البناء الفني الراقي الذي يجسد لنا البلاغة في كمالها.

وها هو الدور يحين على يحي البرمكي حين سجنه الرشيد فأرسل إليه يستعطفه، وقد عرف عن البرمكي بلاغته وذوقه الفني الرهيف وحسه الإبداعي، حيث جعل من مجالسه مجمعا للأدباء والشعراء، وها هو يقول مستعطفا "من شخص أسلمته ذنوبه وأوثقته عيوبه، وخذله شقيقه ورفضه صديقه ومال به الزمان، ونزل به الحِدثان فحلّ في الضيق بعد السعة، وعالج البؤس بعد الدعة، وافترش السخط بعد الرضا، واكتحل السهاد بعد الهجود، ساعته شهر وليلته دهر، قد عاين الموت وشارف الفوت جزعا لموجدتك، يا امير المؤمنين وأسفا على ما فات من فويك"[15]، فقد استعطف البرمكي الرشيد بهاته العبارات القصيرة الدالة على معان عميقة، لخص فيها حياته وقت الرخاء وحاله بعد البؤس والشقاء، ملامسا عاطفة الرشيد لعله يرأف لحاله ويفرج عنه ويدحض الظلم الذي وقع عليه، لكن الرشيد كان حازما في أمره ولم يلب طلب البرمكي، فما كان إلا لزوج البرمكي أن تدق باب النجاة الأخير بهاته الرسالة لهارون الرشيد. فجاء الدور على أمه كي تستعطفه وقد كان هذا الأمل الأخير في إنقاذ البرمكي من مخالب السجن والظلم.[16]

2.2 تجليات الإقناع في رسالة أم يحي:

تواجه أم خالد بن يحي البرمكي موقفا شديد الصعوبة إذ تحاول استعطاف الخليفة للعفو عن زوجها المسجون إثر تصفية الخليفة للبرامكة، فهي تعلم يقينا أنّ الموت آت لا محالة وأن أمر الخليفة واقع لا مرد له، ولذلك تمثل رسالتها الأمل الوحيد في سبيل تراجع الخليفة عن قراراته، ولذا نجد فيها حججا متنوعة بين العقلي والوجداني، فهي تروم من خلال هذه الرسالة التواصل مع الخليفة في أمر قد قضى فيه وأصدر حكمه، فهي تحاول تحريك نوازعه ومشاعره. ولذلك جاءت لغتها مزيجا من الخضوع والتسليم مع كبرياء الأم المربية والعطوف. فتتنوع الحجج بين الوجدانية والعقلية المنطقية والدينية الأخلاقية مدعومة بشواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والاستشهاد بالشعر.

1. **الحجج العاطفية (الوجدانية) - باثوس(Pathos)**

اعتمدت أم خالد على إثارة مشاعرالخليفة والمنّ عليه برضاعته ورعايته حين كان طفلا: "أيعدو علينا الزمان، ويحفونا خوفا لك الأعوان، ويجردك بنا البهتان، وقد ربيتك في حجري، وأخذت برضاعك الأمان من عدوي ودهري؟" فتذكره بحق ممارستها الأمومة له وأنها تردّ عنها مكائد الدهر ونوائبه. كما استحضرت فضائل زوجها عليه بقولها: "ظئرك يحي، وأبوك بعد أبيك..." فهنا تؤكد له أنه في مواجهة والديه حتى تهيئه لطلبها بالعفو عنه.

ثم تصاعدت بالحجج العينية والحسية بعد رفض الخليفة التجاوب لها حيث أحضرت خصلا من شعره "فلما رأته صرح بمنعها، ولاذ عن مطلبها، أخرجت خفا من زمردة خضراء فوضعته بين يديه ...فأخرجت منه خفضته وذوائبه وثناياه، وقد غمست جميع ذلك في المسك..." وهي حجج أكثر تأثيرا من ذكريات طفولته وتربيتها له، فعنايتها بأغراضه منذ زمن معطرة بالمسك فعل يثير مشاعر الود والإخلاص، وقد أحضرتها لاستثارة عواطفه وملامسة مشاعره، وهي حجة مادية بالغة الأثر.

2. **الحجج المنطقية (العقلانية) - لوغوس(Logos)**

بعد أن حاولت أم يحي استمالة الخليفة بتلك الحجج العاطفية، عضدت مطالبها بالعقل والمنطق في دحض حججه التي قدمها لها، فقد ذكرته بموقف زوجها منذ زمن مضى بدفاع يحي البرمكي عن الخليفة في الماضي: "نصيحته وإشفاقه وتعرضه للحتف في شأن موسى أخيه" فلا يعقل من دافع عنه سابقا أن يخونه اليوم.

وحاجته في أمر القضاء والقدر، حيث لا أحد عنده علم الغيب حين أقر لها الرشيد بأنه أمر قضاء : استدلت بقول الله تعالى من سورة الرعد الآية 39 {يَمحُو اللهُ مَا يَشَاُء وَيُثبِتُ وَعِندَهُ أمُّ الكِتَابِ}، أي بالدعاء والرجاء يغير القدر، ولعل الله يغير قضاءه بالدعاء والغيب محجوب حتى عن النبيين فكيف للخليفة أن يدركه؟

3. .الحجج الأخلاقية (الإقناع الأخلاقي) - إيثوس(Ethos)

من الأخلاق الحميدة هي صيانة الأمانة وإيفاء العهود، فقد قطع لها أمير المؤمنين عهدا فيما مضى وهي تستحضره "أو ما أقسمت لي به ألا تحجبني ولا تمتهني" ، مستشهدة بالآية 91 من سورة النحل:{ وَأَوْفُوا بِعَهدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ}. ومن الأخلاق عدم قطيعة الرحم وهو ما سيفعله الرشيد إذا لم يعدل عن قراره، واحتجت بقول الشاعر:

ستقطع في الدنيا إذا ماقطعتني يمينك فانظر أي كف تبدل

ومن خلال الكبار العفو والتسامح، مستحضرة الآية 134 من سورة آل عمران: {والكَاظِمِينَ الغَيْظَ والعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ}

ومن شيم المسلمين ترك الشيء لله، مستشهدة بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "من ترك شيئا لله لم يوجد الله فقده" ففي الرسالة الشفهية نلاحظ رصد كثير من الحجج التي تروم بها تغيير الموقف من حجج عاطفية عينية وحسية الى ذكريات ثم ذكر خصال المؤمن التي تتعلق بالتسامح والعفو الى الحجج المنطقية التي تحاول من خلالها تغيير موقفه وأنّ تراجعه لا يعد فشلا سياسيا إنما هو حكمة منه وتفضل لأنها تدرك هول الموقف وقراره الحتمي فلا سبيل للمجادلة إنما اتخذت من الوجدان طريقا لقلب الرشيد، فكيف كانت ردود المتلقي؟

4_ موقف المتلقي من رسالة أم يحي:

إن المتلقي الخليفة هارون الرشيد لم يكن متلقيا سلبيا أو غائبا في هذا الموقف، بل كان له دور أساسي في تغيير نوع الحجج وتنوعها، فقد كانت ردود فعله تدفع المخاطب إلى تصعيد درجة الخطاب وتمتين الحجج لنيل المقصد والغاية، ولذا نرصد له أربعة مواقف حسب الحجج التي قدمتها أم يحي. ففي أول الحوار كان خصما مدافعا عن قراره، وقد أغلق

الحوار بقوله "أمر سبق، وقضاء حم، وغضب من الله نفذ" واستشهد ببيت الشعر "إذا المنية أنشبت أظفارها.." وكأنه يدعو إلى التسليم بالأمر والاستسلام له.

لكن بعد تغيير الحجج من لدن أم يحي تحول موقفه الى متلق متأثر، حيث خاطبت وجدانه فتغير موقفه قليلا ومال نحوها، "فأطرق هارون مليا، ثم قال: يا أم الرشيد أقول : إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد إليه بوجه آخر الدهر تقبل. فهنا تغيير واضح من مناداته لها بأم الرشيد. وأنه لا يمكنه العدول عن قراره.

وبعد أن حاجته بقول الرسول صلى الله عليه وسلم"فأكب هارون مليا، ثم رفع رأسه يقول: لله الأمر من قبل ومن بعد" ، فردة فعله الصمت قليلا ثم يكب على وجهه كلها دلالات على تفكيره وحيرته. وما لبث أن تحول إلى متلق منكسر بعد أن عرضت عليه أغراضه تأثر وانفجر "فأخذ هارون ذلك فلم، ثم استعبر وبكى بكاء شديدا..."

لكن سرعان ماعاد لوعيه "فلما أفق رمى ذلك في الحق، وقال لها: لحسن ما حفظت الوديعة" وبرر لها ذلك بأنها أمانة مستشهدا بآي القرآن الكريم. ثم عرض عليها شراء أغراضه. ليكون متلقي واع فقد انهزم أمام حجج أم يحي وطلب منها شراء أغراضه الخاصة لكنه لم يغير قراره وبقي البرمكي في سجنه حتى توفي.

تحتوي الرسالة الشفهية إلى هارون الرشيد كل تجليات الحجاج والإقناع، من الحجج الفعلية إلى ترتيب الحجج والاستشهاد بالشعر والقرآن إلى الاستعطاف ومحاولة دغدغة عواطف الرشيد بتذكيره بتربيتها وحسنها إليه، لكن الرشيد دحض هاته الحجج الشعر بالشعر والقرآن بالقرآن والحجج الفعلية بالفعل مما لم ينقص من مكانة مرضعته واحترامه لها.

4.خاتمة:

في آخر هذا البحث نخلص إلى أنه لتحقيق الإقناع في النص لا بد أن يتبع المرسل تراتبية منطقية في سرد الحجج وترتيبها بالإضافة إلى العناية بالسياق حتى لا يحيد عن غايته.وهذا فيما تجلى لنا من خلال رسائل الاستعطاف التي تمثل النموذج المثالي لدور

الإقناع في تغيير كثير من المواقف والقرارات السياسية المهمة، مما يفتح الباب للبحث في الرسائل ودورها الكبير في تغيير المسارات السياسية للأمم والدول كمشروع بحثي.

5. الإحالات والهوامش:

(*)نظرية الحجاج وضع أسسها اللغوي الفرنسي أزفالد ديكرو 1973، وهي نظرية لسانية تهتم بالوسايل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة مت تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها: أننا نتكلم عامة بقصد التأثير. ابو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، دار العمدة في الطبع، المغرب، ط1، 2006، ص: 14.

[1] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر "بنيته وأساليبه"، عالم الكتب الحديث، إربد، سوريا ط2، 2011، ص: 24.

[2] ينظر: المرجع نفسه. ص ص : 26.27.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية" دار الكتاب الجديد، ليبيا،ط1، 2004. ص: 446

[4] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب " ،ص: 445. 446. 447.

[5] عبد الله الغذامي، تشريح النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2006، ص: 51.

[6]هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم" تونس، د.ط، ص: 144.

[7]أبو عثمان عمرو بن الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7 ، 1988، ج1/ ص: 76.

[8] حمادي صمود، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح. ضمن كتاب "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم" د.ط، تونس ص: 14.

[9] ينظر: رضوان الرقيبي، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، مجلة عالم الفكر، المجلد 40، العدد 2. 2011، ص: 73.

[10] عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته. ص314. 315. 318.

[11]شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، ط8، د.ت، ص: 465.

[12]المرجع نفسه، ص: 502.

[13] حسام أحمد فرج، نظرية علم النص "رؤية منهجية في بناء النص النثري" مكتبة الآداب، ط2، القاهرة. 2009، ص: 29.

[14]ينظر: أبو عثمان عمرو بن الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، ص: 215.

[15]شوقي ضيف، ص: 475.

[16]ينظر: أحمد زكي صفوت، د.ت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المكتبة العلمية، بيروت، ط1، ص ص : 88_91.